# دور الرسول (ﷺ) في تغيير المجتمع الأندلسي الاسس والوسائل

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن ابراهيم الغنطوسي

كلية التربية / الجامعة العراقية

# دور الرسول (صلّى الله عليه وسلم) في تغيير المجتمع (الاسس والوسائل)

أ . د . عبد الرحمن ابراهيم الغنطوسي
كلية التربية / الجامعة العراقية

**المستخلص**

اولى الانبياء اهتماما خاصة في تغيير المجتمع فقد ضرب الانبياء مثالا رائعاً في الادب في دعوتهم الى الله بأخلاقهم واعمالهم قبل توجيههم في تغير المجتمع من مجتمع خارق بالوثنيات الى مجتمع سوي .

وقد كانت اهم وسائل اسس التغير عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم المجتمع هو صنع الانسان المؤمن الذي يقود التغير ويفجر الطاقات المبدعة وينشأ الاليات الطيبة ويصنع الحضارة الشامخة وذلك حين يغير هذا الانسان من اعماقه ويقوده من داخله من خلال استخدام واصلاح هذه النفوس بالأيمان الصادق والتزكية المستمرة وكانت اهم اسس ووسائل التغير عندي النبي صلى الله عليه وسلم هي رعاية الضروريات وقاعدة ارتكاب اخف الضررين والتدرج وغيرها من وسائل تغير النفس الانسانية وهدايتها من الوثنية الى التوحيد ومن الضلالة الى الهدى ومن الاباحة الى التقوى لذلك فقد ضل الرسول محمد طوال العهد الملكي وعمله الاول والاهم هو غرس عقيدة التوحيد والارتقاء بالإنسان وقد سار الرسول محمد في تغير المجتمع باستخدام اسلوب مباشر في توعية وارشاد المجتمع وكذلك استخدام اسلوب غير مباشر من خلال استخدام السنة النبوية لتقويم ما فسد من اخلاق الامم والمجتمعات .

**الكلمات المفتاحية**

الحجة والبرهان، الموعظة الحسنة، قاعدة الارتكاب اخذ بالضررين، اسلوب تغير بالقصة .

# The role of the apostle in the change of society

## ( Foundations and Means)


## Abstract

The prophets paid special attention to the change of society, as they set a wonderful example of politeness in their call to Allah through their morals and behaviors before calling to change society from one that is steeped in paganism to one that is straight. The most important means of changing society was the Prophet Muhammad, and His God was the creation of a man of faith, who leads change, explodes creative energies, and creates good methods to make a gracious civilization since if the man's change comes from his depth, he can lead the souls by reforming them with sincere faith and constant soul's purification.

The most important foundations and means of change for the Prophet, may God's prayers and peace be upon him and his family, were the reliance on priorities, the rule of committing the lesser of two evils, gradualism, and other means of changing the human soul and guiding it from paganism to monotheism, from misguidance to guidance, and from permissibility to piety. Therefore, the Prophet Muhammad, throughout his call, has attached priority and primary importance to instilling the doctrine of monotheism and elevating the human being. In changing society, the Prophet Muhammad adopted a direct method in educating and guiding society, as well as using an indirect method through the application of the Prophetic Sunnah to correct the corrupt morals of nations and societies.



## Key Words

Argument and Proof, good advice, the rule of committing the lesser damage, way change the story

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد

فإن التغيير الاجتماعي من أهم المواضيع التي تناولها علم الاجتماع، فمن خلاله تكتشف أسباب النهوض والسقوط في الأمم والمجتمعات، ليكون ذلك موجهاً إلى كيفية اتخاذ الأسباب اللازمة لتوجيه حركة التغيير وضبطها نحو التقدم والنهوض، واجتناب العوامل التي تؤدي إلى التأخر والسقوط ولقد تعددت المذاهب والآراء في تفسير حركة التغيير فالتفسير المادي يجعل حركة التغيير ترجع إلى قوى الإنتاج، فهو يجعل العامل المادي هو العامل الأساس في التغيير وهناك التفسير العقلي الذي يجعل بناء المجتمعات يرجع إلى مجموعة من الأخيلة والأفكار، تظهر وتتجدد في كل عصر.

أما السنة النبوية فقد بين هذا الموضوع بإسهاب، إذ جعل التغيير سنة من سنن الاجتماع البشري، وحالة تمر بها كل أمة وكل مجتمع، وأن هذا يرجع إلى عوامل عديدة لا تنحصر في عامل واحد. غير إنه جعل هذه العوامل أو القوانين متوقفة في فاعليتها في التغيير، على الإنسان وإرادته وحريته حيث أن الله تعالى أودع في الإنسان كل طاقات الحركة التي تعمل في الحياة والكون وتتعامل معها، فالإنسان أولاً يتعامل مع نفسه، ثم مع بني جنسه ومع الحياة ومتطلباتها، ومع الكون وما فيه من قوى وطاقات، فهو الذي يطور الحياة ويغير في أشكالها، وهو الذي يتحمل المسؤولية في التغيير وحركة التأريخ سواء كان نحو النهوض أم نحو السقوط. وكل هذا وجميعه لخصه افعاله ﷺ مع المجتمع الذي يعيش فيه.

وقد رأيت في اختياري في إعداد هذا البحث أن أتناول دراسة هذا الموضوع تحت مسمى:

**(دور الرسول ﷺ في تغيير المجتمع – الاسس والوسائل)**

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يتكون من مقدمة ومبحثان وخاتمة:

**المبحث الاول:** يتكون من مطلبين:

**المطلب الاول:** تعريف مفردات البحث

**المطلب الثاني:** الاسس التي بنى الانبياء دعواتهم عليها .

**اما المبحث الثاني:** فيتكون من مطلبين:

**المطلب الاول:** الاسس التي بنى عليها الرسول ﷺ في تغيير المجتمع

**المطلب الثاني:** الاساليب التي سار عليها الرسول ﷺ في تغيير المجتمع

**المبحث الاول:** فيتكون من:

**المطلب الاول:** تعريف مفردات البحث

**أولاً:** تعريف الأساليب في اللغة والاصطلاح

الأساليب لغة: جمع أسلوب، والأسلوب هو: الطريق والفن، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي طريق من طرقهم، ويقال: أخذنا في أساليب من القول: أي فنون متنوعة منه [١] .

فالأسلوب إذاً: الطريقة التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو: المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو: طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم [٢] .

وأما اصطلاحاً فتعرف على أنها: العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه [٣] .

ويعرفها باحث في فقه الدعوة بأنها: الطريقة والمذهب الذي يلجأ إليه الداعي إلى الله تعالى، ليحقق بذلك أهداف الدعوة، فالأسلوب إذاً طريقة أو مذهب في العمل، يوصل إلى الهدف [٤] .

**ثانياً:** تعريف التغيير في اللغة والاصطلاح

١. التغيير في اللغة

جاء في لسان العرب: تغيّر عن حاله: تحوّل وغيّره جعله غير ما كان عليه وحوّله: بدّله [٥] وتقول: غيّرت الشيء فتغيّر، أي بدلّته فتبدل فالتغيير انتقال الشيء من حالة لأخرى وهو إحداث شيء لم يكن موجودا قبله

[٦] وقال الراغب في المفردات: (التغيير يقال على وجهين: أحدهما لتغيير صورة الشيء دون ذاته يقال غير داره إذا بناها غير الذي كان الثاني لتبديله بغيره نحو غيرت غلامي ودابتي أبدلتهما بغيرهما) [٧].

٢. التغيير في الاصطلاح

والتغيير في الاصطلاح: هو بذل الجهد البشري عبر عملية طويلة ومتدرجة يتم من خلالها صياغة مجتمع متكامل –كيان أمة– يبدأ بالفرد ثم الأسرة ثم المجتمع... والتغيير ضرورة اجتماعية والفريضة شريعة؛ لان معناه تغيير الإنسان من حال إلى حال.. وتغيير وجهته وأفكاره ومشاعره وأهدافه وطرائقه تغييرا ينفذ إلى روحه ولا يقف عند مظهره فحسب [٨] وبه يحاول أن يسد نقصه بتحقق الوصول إلى الكمال [٩].

**المطلب الثاني:** الأسس التي بنى الانبياء دعواتهم عليها

**الاساس في اللغة:** ما يبنى عليه الشيء ولا يقوم الأمر إلا به [١٠]، وأي خلل في هذا الأساس يجعل البناء مهدد بالانهيار، فدعوات الأنبياء كانت لها أسس وقواعد تكفل قيامها فمن هذه الأسس:

**أولاً:** الحجة والبرهان

فقد قامت عليها دعوات الأنبياء، وكانت حججهم قوية في دعوة أقوامهم وذلك لإظهار الحق وبيان زيف الباطل، فعلى سبيل المثال سيدنا إبراهيم عليه السلام تحدث القرآن الكريم عنه وبين أنه اعتمد في دعوته على الحجة التي تقوم على ما يتقبله العقل السليم ويؤلفه الذوق ويلتمسه الوجدان قال تعالى: (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) [١١] فكان يوجه العقول إلى الحقائق ويهيب بها إلى التأمل في الكون لرؤية مظاهر عظمة الخالق في الأبداع والإتقان التي تدل على وجود الخالق جلت قدرته[١٢]، فهو يحاور النمرود الذي ادعى الربوبية، ويبطل ما ادعاه بالحجة والبرهان ،قال تعالى: ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن أتاه الله الملك اذا قال ابراهيم ربي الذي يحي ويميت قال انا احي واميت قال ابراهيم فأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الكافرين) [١٣].

فقد استدل إبراهيم عليه السلام على وجود الخالق قائلاً إن ربي الذي يخلق الحياة والموت في هذه الأجساد ولكن الطاغية اعترض إبراهيم وقال أنا أحي وأميت وذلك بقتله من يشاء وتركه من يشاء وعند ذلك

انتقل إبراهيم إلى حجة أقوى وهي أن الله يأتي بالشمس من المشرق فأريد منك أيها النمرود أن تأتي لي بها من المغرب فبهت الذي كفر حتى وقف حائراً لاحول ولا قوة له [١٤] .

**ثانياً:** الحكمة

الحكمة هي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والمتجه إلى الفكر مباشرة من غير إثارة الوجدان وتهيج الانفعال [١٥] وهذا واضح في دعوات الأنبياء عليهم السلام حيث ظهرت حكمتهم في الجوانب الآتية:

أ. عرض دعواتهم على الناس بالأساليب والوسائل التي تناسب معهم.

ب. عدم تجريح أقوامهم.

ج. الرفق واللين في دعوتهم وعدم العنف.

د. التواضع وعدم التكبر عليهم.

هـ. التيسير عليهم وعدم التعسير.

و. إظهار الحرص عليهم وحب الخير لهم.

**ثالثاً:** الموعظة الحسنة:

الوعظ هو النفع والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل [١٦]، فهي توجيهات تفيد تقريب النفوس بين الداعي والمدعوين بما تشتمل عليه من لطف ولين ثأره [١٧]، وتعتبر الموعظة من أهم وسائل الدعوة لان الواعظ هدفه من موعظته هداية الناس للخير وغايته إسعادهم في هذه الدنيا والفوز بالآخرة.

فجميع أنبياء الله كانت دعوتهم قائمة على هذا الأساس وهو الوعظ والارشاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فها هو سيدنا نوح عليه السلام ينصح قومه ليلاً ونهارا، سراً وعلانية وهو حريص على هدايتهم يقول الله تعالى (قال يا قوم أني لكم نذير مبين * ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) [١٨] فهو ينصح قومه بان يعبدوا اهلل ويتقوه ويطيعوه لأنهم إن فعلوا ذلك فازوا في الدنيا والاخرة وغفر الله لهم ذنوبهم [١٩] .

**رابعاً:** الادب السامي

إن الدعوة الناجحة هي التي يكون صاحبها ذا أدب رفيع وأخلاق سامية كما أن الداعية الناجح هو الذي يدعو الناس بأخلاقه وأعماله قبل أن يدعوهم بأقواله، وذلك لان تسلح الداعية بالخلق الحسن يجعله محبوباً عند الله وعند الناس وهو من أهم الأبواب الموصلة إلى قبول الدعوة (٢٠).

ولقد ضرب الانبياء عليهم السلام مثالاً رائعاً في الأدب في دعوتهم فدعوا إلى الله بأخلاقهم وأعمالهم قبل أن يدعوهم بمقالهم وقد أقاموا دعواتهم على صرح متين من الاخلاق فكانوا قدوة حسنة وشخصيات مميزة بكل مزايا الادب والكمال في دعوتهم ليكونوا هداة معلمين فاختارهم الله على علمه ورباه على عينه وشرفهم بأكمل الاوصاف فجعلهم أئمة الدنيا والدين (٢١)، يقول الله تعالى: (وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا واوحينا إليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (٢٢).

**خامساً:** الوضوح

فقد قامت دعوات الانبياء عليهم السلام على الوضوح التام والبساطة فهم يدعون الناس الى هدف واضح والى فكرة بينة ال لبس فيها ولا غموض، قال تعالى (قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين) (٢٣)، فالأنبياء الكرام إنما دعوا الناس إلى رسالة ربانية ذات هدف واضح وغاية نبيلة.

**المبحث الثاني:** أسس ووسائل التغيير عند النبي محمد ﷺ

**المطلب الاول:** الاسس التي بنى عليها الرسول ﷺ في تغيير المجتمع

إن الوسائل المطروحة على صعيد العمل الإسلامي، للتغيير مطلوبة، ولا يستغنى عن جانب منها، لإيجاد التغيير الكلي المتكامل المنشود.

وبهذا أكد الرسول على صنع الإنسان المؤمن الذي يقود التغيير، ويفجر الطاقات المبدعة، وينشئ الحياة الطيبة ويصنع الحضارة الشامخة وذلك حين غير هذا الإنسان من أعماقه، وقاده من داخله، وإصلاح هذه النفس إنما يتم بالإيمان الصادق والتزكية المستمرة.

واتبع عليه الصلاة والسلام في تربيته للنفس البشرية قاعدة (التصفية والتربية) أو (التخلية والتحلية) فالتوحيد لا يتربى المرء عليه سليماً حتى يتخلص من رواسب الشرك، ولذلك قال تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢٤)، وفي التشريع لا يتربى عليه المسلم سليماً حتى يتخلص من البدع ولذلك أمر النبي ﷺ بلزوم الدين الصحيح المتمثل بالكتاب والسنة. وكل الأعمال التي يقوم بها المسلمون لابد أن يكونوا على عقيدة واحدة ومنهج واحد حتى تكون القلوب مؤتلفة، لأن الائتلاف رافد النصر كما قال تعالى: (إِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢٥)، وكان عمله ﷺ وفق اسس هي:

### ١. رعاية الضرورات

هناك قاعدة الضرورات التي اعترف بها الشرع وجعل لها أحكامها، وتقرر ذلك في قواعد فقهيه عامة أصلها العلماء في كتب (القواعد الفقهية) هي: (الضرورات تبيح المحظورات) و(ما ابيح للضرورة يقدر بقدرها) و (الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة) (٢٦).

ولهذه القاعدة أدلتها الكثيرة من نصوص الشرع في باب الاطعمة وغيره، وهي قاعة مسلم بها مجمع عليها، وهذا من واقعية الشريعة الإسلامية، التي لا تحلق بالإنسان في مثاليات حالمة، ترفرف في السماء، ولا تنزل إلى الأرض بل تعترف بضغط الحياة، وقهر الظروف وضعف الانسان، وتلبس لكل حالة لبوسها، فمن الأمثلة على ذلك قصة عمار بن ياسر (رض).

### ٢. قاعدة ارتكاب أخف الضررين

وهناك قاعدة (السكوت على المنكر إذا ترتب على تغييره منكر أكبر منه)، دفعا لأعظم المفسدتين، وارتكابا لأخف الضررين، وبناء على هذه القاعدة يجوز طاعة الإمام الجائر أو الفاسق الذي لا يمكن الخروج عليه إلا بفتنة أكبر من جوره وفسقه، ومن الأمثلة على ذلك:

❖ عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة وجعلتها على أساس ابراهيم) (٢٧).

### ٣. التدرج

ونقصد به التدرج في التنفيذ وليس التدرج في التشريع لان التشريع قد تم واكتمل بإكمال الدين واتمام النعمة، وانقطاع الوحي قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (٢٨).

ويبدو من خلال دراستنا لكتب سير المصطفى ﷺ نجد ان النبي ﷺ راعى سنة التدرج، فبقي ﷺ ثلاثة عشر عاما في مكة وهو يعمل جاهداً على تربية اصحابه وتصفية قلوبهم من الشرك ولهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع، وانما كانت مرحلة تصفية وتربية.

**٤. تغيير ما بالأنفس**

ان أول ما بدأ به الرسول ﷺ هو تغيير ما بالنفس، فهداها من الوثنية الى التوحيد ومن الضلالة الى الهدى ومن الإباحية الى التقوى ومن التسيب الى الانضباط ومن الأنانية الى الإيثار أي من الجاهلية الى الإسلام، وقد ظل ثلاث عشرة سنة في مكة يقوم على التغيير النفسي والفكري قبل أي شيء، حيث كانت (دار الأرقم) مؤسسة إن صح التعبير لتكوين هذه الأنفس الزاكية.

ولذا ظل الرسول ﷺ طوال العهد الملكي، وعمله الأول والأهم، غرس عقيدة التوحيد، وما تثمره من الإيمان بالآخرة، وعمل الصالحات وحكام الأخلاق، ومما يثمره تغيير المعتقدات: تغيير المفاهيم والأفكار [٢٩].

**المطلب الثاني:** الاساليب التي سار عليها الرسول ﷺ في تغيير المجتمع

**١. اسلوب التغيير بالقصة**

تعد القصة من الوسائل المهمة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية بوصفها وسيلة للتغيير لما فيها من إثارة وتأثير في نفس المدعو مما يجعله أكثر استيعاباً وفهماً وقبولاً لما يراد منه (فالقصة تؤثر في نفس القارئ فتنقله إلى عالم الأحداث حيث يعايش وقائعها ويرمي بنظرة إلى أبعادها فيزداد قرباً من هذا اللون البديع المتميز)[٣٠] وبقدر ما تكون القصة محكمة في ألفاظها متقنة في اسلوبها بقدر ما تؤثر في السامع إذ إنه (مما لاشك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشفق وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر وتسترسل في سياقها المشاعر فلا تمل ولا تكد، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثمار)[٣١] والقصة: (هي الأخبار عن احداث حقيقية سابقة، بكلام حسن الألفاظ صنع بأسلوب بديع مشوق جذاب، وقد احتوى على العبر والحكم والعجائب، يهدي السامع بسحره للنفوس إلى الدين ويرشد إلى الخير وفضائل الأعمال)[٣٢].

ولقد قص النبي ﷺ قصة رواها البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ

فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ تعالى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ قَالَ رَجُلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْماً فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ . قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ . وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا .

وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا . وقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ[٣٣] .

إن من فوائد هذا الأسلوب لهذه القصة هو انه عمق في نفوس الجميع استحباب الدعاء في الكرب[٣٤] وكيف لا وقد رأوا عناية الله تتدخل لكي تنقذ ثلاثة من موت محقق دون تدخل أحد، وكذلك زاد الجميع إيماناً ويقيناً أن الله تعالى قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويفرج عنه الكرب إذا كُرب، وعمق في نفوس الجميع فضل الإخلاص في العمل والحرص عليه بما رأوا من ثمراته العاجلة[٣٥]، وأوجد رغبة شديدة في القيام بفضائل الاعمال، كبر الوالدين وخدمتهما وإيثارهما على الولد والأهل، وتحمل المشقة لأجلهما، ومكانة العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة، وفضل أداء الأمانة وعدم أكل أموال الناس بالباطل[٣٦] .

روى الإمام مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلمّا كبر قال للملك: إني قد كبرتُ فابعث إلى غلامًا أُعلّمه السّحر؛ فبعث إليه غلامًا يُعلّمه، وكان في طريقه إذا سلك راهبٌ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى السّاحر، مرّ بالرّاهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الرّاهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني السّاحر [٣٧]. فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابّة عظيمة قد حبست النّاس، فقال: اليوم أعلم السّاحر أفضل أم الرّاهب أفضل؟ فأخذ حجرا، فقال: اللّهم إن كان أمر الرّاهب أحبّ إليك من أمر السّاحر فاقتل هذه الدّابّة حتّى يمضي النّاس، فرماها فقتلها ومضى النّاس، فأتى الرّاهب فأخبره. فقال له الرّاهب: أي بُنيّ أنت اليوم أفضل منّي قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنّك ستُبتلى، فإن ابتُليت فلا تدلّ عليّ؛ وكان الغلام يُبرِئ الأكمه والأبرص، ويُداوي النّاس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هُنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إنّي لا أشفي أحدًا إنّما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربّي، قال: ولك ربّ غيري؟ قال: ربّي وربّك الله، فأخذه فلم يزل يُعذّبه حتّى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُنيّ، قد بلغ من سحرك ما تُبرِئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟! فقال: إنّي لا أشفي أحدًا، إنّما يشفي الله تعالى. فأخذه فلم يزل يُعذّبه حتّى دلّ على الرّاهب؛ فجيء بالرّاهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوُضع المنشار في مفرق رأسه، فشقّه حتّى وقع شقّاه، ثمّ جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقّه به حتّى وقع شقّاه، ثمّ جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلّا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللّهمّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلّا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللّهمّ اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السّفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فقال

لِلمَلِكِ: إنَّكَ لست بقاتلي حتى تفعل ما آمُرُكَ به . قَالَ: ما هو؟ قَالَ: تجمع الناس في صعيد واحد وتَصْلبني على جذع، ثم خُذ سهمًا من كِنَانَتي، ثم ضَعِ السهم في كَبِدِ القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارْمِني، فإنكَ إذا فَعَلت ذلك قَتَلْتَني، فَجَمَعَ النَّاسَ في صَعيد واحد، وَصَلَبَهُ عَلى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا من كِنَانَتِه، ثم وضع السهم في كَبِدِ القوس، ثم قَالَ: بسم الله رب الغلام، ثم رَمَاهُ فوقعَ في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغِهِ فمات، فقال الناس: آمَنَّا بربِّ الغُلام، فأتي المَلِكُ فقيل لَهُ: أَرَأَيتَ مَا كنت تحْذَرُ قَد والله نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ، قد آمَنَ الناس . فَأَمَرَ بالأُخْدُودِ بأفْواهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وأُضْرِمَ فيها النِّيرانُ وقال: من لَمْ يَرْجِعْ عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل لَهُ: اقْتَحِم ففَعَلُوا حَتَّى جَاءت امرأة ومعَها صَبِيٌّ لها، فَتَقَاعَسَت أن تَقَع فيها، فقال لها الغُلام: يا أمه اصبري فإنَّكِ على الحقِّ)) (٣٨) .

إن النبي ﷺ أراد أن يعطي من خلال هذه القصة الصورة الحقيقية للواقع الذي تدور فيه احداث القصة وهذا (مما جعل المستمعين يستبعدون امكانية تغيير هذا المجتمع، مع هروب حامل العقيدة الصحيحة وهو الراهب بنفسه، وعدم قيامه بواجب الدعوة إلى الله تعالى المطلوب من أمثاله عادة، مع وجود حالة الرعب والخوف التي فرضها الملك وزبانيته على الشعب المقهور، ولم يكتف بذلك بل ادعى الألوهية وعَبَد الناس له من دون الله رب العالمين)(٣٩)، وحفظت لنا السنة النبوية العديد من المواقف التي يحكي فيها النبي ﷺ قصة من القصص وهي من الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في تفسير النفوس، والتغيير بالقصة (وسيلة تستخدم الحادث، ولكنه حادث خارجي يقع لأشخاص آخرين، ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كأنه حدث للإنسان ذاته)(٤٠) .

وقد أدرك الرسول ﷺ الميل الفطري إلى القصة، أدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب، فاستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم(٤١) وأراد ﷺ من خلال التغيير بالقصة بناء شخصيات على أسسُ سليمة وصحيحة وفق النماذج المثالية التي تدور عليها أحداث القصة، وأن يزرع في نفوسهم فضائل الخير بأنواعها، وأن يرقى بعقولهم ووعيهم إلى الصورة المثالية التي يرتضيها لهم(٤٢) .

**٢. اسلوب التغيير بالموعظة**

للموعظة أثرها البالغ في النفوس، لذا فلم يكن المربي والمغيّر صاحب الرسالة ﷺ يغيب عنه هذا الأمر أو يهمله فقد كان كما وصفه أحد أصحابه وهو ابن مسعود رضي الله عنه: ((كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا))[٤٣] (والموعظة الحسنة من الأساليب المهمة التي اعتمدها رسول الله ﷺ في تربية جيل الصحابة الفريد، امتثالاً لأمر الله تعالى له بذلك بقوله ﷺ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)[٤٤] فكان ﷺ يتحرى الأسلوب الأنفع في تقديم الموعظة، وكان يستثمر الفرص المناسبة لذلك، ويستثمر العاطفة فيها)[٤٥] ومن مواعظه ﷺ التي غيّرت النفوس القاسية ما رواه الترمذي عن العرباض بن سارية قال: ((وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة[٤٦] موعظة بليغة ذرفت منها العيون[٤٧] ووجلت منها القلوب[٤٨] فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وان عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الامور فأنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عظوا عليها بالنواجذ))[٤٩] .

وكان النبي ﷺ يراعي في مواعظه نفوس الناس وطبائعهم فيخاطب كلاً بحسب نفسيته وطبيعته فكان يجعل يوماً خاصاً لموعظة النساء، عن أبي سعيد الخدري ((قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً يفقهن فيه فوعظهن فأمرهن، فكان فيما قال لهن: ((ما منكن تقدم ثلاثة من ولدها إلاّ كان لها حجاباً من النار)) فقالت امرأة: واثنين ؟ فقال: واثنين[٥٠] إن مما لا شك فيه أن عقول الناس متفاوتة في الفهم والفقه في الأمور، لذا قال الرسول ﷺ: ((نضّر الله امرأً سمع مقالتي فبلغها، فربّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه))[٥١] .

والملاحظ ان معظم المواعظ سواء القرآنية أو النبوية تدور حول تغيير وتربية الانسان عقدياً وسلوكياً وتخاطب القلوب القاسية ،قال تعالى( أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)[٥٢] لقد استخدم النبي ﷺ أساليب عديدة في مواعظة وارشاداته، حيث كان النبي ﷺ يستثمر الحدث في سبيل تغيير النفوس وحث الناس على التأمل والتدبر لما يسمعون او يرون، ومن أمثلة استخدامه ﷺ الحدث، حدث شفاعة اسامة بن زيد في المرأة المخزومية التي سرقت ليلقي عليهم درساً بليغاً[٥٣] .

روى الامام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: ((ان قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجترئ عليه الا اسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حِد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس انما اهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإن سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم والله لو إن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) (٥٤)، ومما يتبين ان قريشاً كانت تتوقع حصول عفو عن المرأة المخزومية بعدما دفعت بأحب الناس الى رسول الله ﷺ ليشفع لها عند رسول الله ﷺ.

واستخدامه ﷺ حدث قدوم وفد مضر، حفاة عراة لابسي العباءة، كما روى الامام مسلم عن المنذر بن جرير عن ابيه قال: ((كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار العباءة متقلدي السيوف (٥٥) عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعَّر وجه الرسول ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن واقام، فصلى ثم خطب فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (٥٦) وقال تعالى( اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ) (٥٧)، تصدق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، ومن صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصدقة كادت كفه تعجز عنها قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله:

((من سنَّ في الاسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أوزارهم شيء)) (٥٨).

استخدم النبي ﷺ حدث دفن الميت في الدعوة والتغيير بالموعظة، فعن البراء رضي الله عنه قال: ((كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى حتى بل الثرى، ثم قال: يا إخواني لمثل هذا فأعدوا)) (٥٩)، لا يخفى ما للموت من رهبة في الصدور والقلوب، وإن النفوس يصيبها من الخشوع والانكسار ما لا تتهيأ في مواقف أخرى، خاصة إذا حفر القبر وتخيّل الأنسان نفسه في هذه الحفرة التي وضع فيها الميّت، فإن هذا الخشوع والخوف والانكسار يجعل كل فكره وعقله على استعداد تام لتلقي

الموعظة من الداعي فإذا كان الداعي قد تأثر في ذلك الموقف وعبر عنه بالخوف والانكسار والبكاء كان تأثيره على السامعين أكثر، وهذا ما فعله النبي ﷺ [٦٠]، وهناك مواقف كثيرة استخدمها النبي ﷺ في تغيير نفوس الناس وهدايتهم إلى الطريق المستقيم.

**٣. اسلوب التغيير باستخدام التوجيه غير المباشر**

كان النبي ﷺ يستخدم في تغييره الأسلوب غير المباشر ويتمثل الأسلوب غير المباشر في أمور منها:

**أولاً:** كونه ﷺ يقول ما بال أقوام، دون أن يخصص أحداً بعينه، ومن ذلك قوله في بريرة فعن عائشة رضي الله عنه قالت: ((أتتها بريرة تسألها في كتابتها فقالت ان شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي فلما جاء رسول الله ﷺ ذكرت له ذلك فقال النبي ﷺ ابتاعيها فأعتقيها فإنما الولاء لمن أعتق ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة شرط)) [٦١] إن هذا الأسلوب من الأساليب الناجمة في التغيير والذي تغني فيه الإشارة عن صريح العبارة.

وكان النبي ﷺ ذات يوم، جالساً مع أصحابه، ينتظرون الصلاة بعد أن أحضروا وليمة أكلوا فيها جزوراً، فانبعثت في المجلس رائحة مؤذية، ولا شك أن صاحب الريح قد أحس بحرج شديد فكل من كان جالساً كان ينتظر الصلاة وعلى وضوء أيضاً، وليس الوقت توجيه عظات لمن فعل ذلك ألا يفعل وأن عليه أن يجدد الوضوء، ذلك هو الموقف الحكيم من النبي ﷺ راعى فيها مشاعر الرجل وأحاسيسه فتوجه النبي ﷺ إلى الجالسين، ليقول: من أكل لحم جزور فليتوضأ قال الصحابة الحاضرون، كلنا أكلنا لحم جزور يا رسول الله، فقال النبي ﷺ إذن كلكم يتوضأ وقام الحاضرون جميعاً للوضوء ومن بينهم ذلك الرجل الذي نال درساً توجيهياً غير مباشر في أدب السلوك الاجتماعي مع احترام كامل لحساسيته، وعدم إحراجه [٦٢].

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)) [٦٣] فيه توجيه للابتعاد عن شره الجدال والخصومة، والحث على لين الجانب وسماحة الخلق [٦٤]. ومن توجيهاته ﷺ أنه يثني على صفة في الشخص ويحثه على عمل بطريقة غير مباشرة، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((كان الرجل في حياة النبي ﷺ اذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت أن أرى

رؤيا أقصها على النبي ﷺ، وكنت غلاماً اعزب، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، أعوذ بالله من النار، فلقينا ملك آخر فقال: لن تراع، فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل، قال سالم فكان عبد الله لا ينام من الليل الا قليلاً))[٦٥]، وأحياناً يأمر اصحابه بما يريد قوله للرجل، فعن انس بن مالك ((ان رجلاً دخل على رسول الله ﷺ، وعليه أثر صفرة وكان النبي ﷺ قلما يواجه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه فلما خرج قال: لو أمرتم هذا ان يغسل هذا عنه))[٦٦].

وأحياناً يخاطب غيره وهو يسمع، عن سليمان بن صرد قال: ((استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ أني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل الا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: أني لست بمجنون))[٦٧].

لذا يتبين لنا أن هذا الأسلوب من أكثر الأساليب التي أعتمدها الرسول ﷺ في تربيته لأصحابه، بل لا تكاد تخلو أحاديثه وتوجيهاته وأقواله من هذا الأسلوب لما له من فوائد جمة قد لا تتوفر في غيره من الأساليب[٦٨].

### ٤. أُسلوب التغيير في الجمع بين الترغيب والترهيب

إن النفس البشرية فيها إقبال وإدبار، ولذلك نجد أن المنهج التربوي الاسلامي يتعامل مع هذه النفس بكل هذه الاعتبارات، ومن ذلك الجمع بين الترغيب والترهيب، والرجاء والخوف، من اجل ذلك (فإن القرآن لا يعتمد على الترهيب فقط او الترغيب فقط وإنما يعتمد على مزيج منهما :الخوف من عذاب الله، والرجاء في رحمته وثوابه ،وقد عبر القرآن عن ذلك في وصف أصفياء الله من الانبياء وعباده الصالحين فقال عنهم ) إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [٦٩] (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ )[٧٠] وهذا المزيج من الخوف والرجاء كفيل بإثارة الدافع القوي لدى المسلمين لتعلم ما جاء به الإسلام من نظام جديد في الحياة وما تضمن ذلك من تعلّم أساليب جديدة في التفكير والسلوك)[٧١] ومن امثلة ذلك، ما رواه انس رضي الله عنه قال: ((خطب رسول الله ﷺ خطبة ما

سمعت مثلها قط قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين))[٧٢] .

ومن أحاديث الرجاء والترغيب ما روي عن ابي ذر رضي الله عنه قال أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ،ثم أتيته وقد استيقظ فقال :((ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف ابي ذر، وكان ابو ذر اذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف ابي ذر))[٧٣] وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ((كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا ، وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد ، فاذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجه [والربيع الجدول] فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: أبو هريرة ؟ فقلت: نعم يا رسول الله، قال: ما شأنك ؟ قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا ، فخشينا أن تقتطع دوننا ، ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فأحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي، فقال: يا أبا هريرة – وأعطاني نعليه – قال: اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله الاّ الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة))[٧٤] والذي يتأمل في الواقع يلحظ أننا كثيراً ما نعتني بالترهيب ونركز عليه، وهو أمر مطلوب والنفوس تحتاج إليه، لكن لابد أن يزاد على ذلك الترغيب، من خلال الترغيب في نعيم الجنة وثوابها ، وسعادة الدنيا من استقام على طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ .

وبما أن الترغيب أساس موضوعاته أساس ديني وعقائدي فهو (أساس نفسي معترف به لدى المؤمنين بالدين والجاحدين له، فمما لا ريب فيه أن الرغبة والرهبة نزعتان فطريتان في الإنسان، فهو بطبيعته يرغب فيما يحب ويخاف مما يكره، فلا عجب أن يستفيد المنهج التربوي في الإسلام من هاتين النزعتين

لدفع الإنسان إلى فعل الخيرات والطاعات، وأجتناب الشرور والآثام) [٧٥] وصفات النفس كثيرة منها صفة الطمع، والحرص ولذلك فإن الترغيب يعمل من خلالهما في سبيل الوصول إلى الإيجابية في العمل .

فإن (سياسة الترغيب الذي هو أحد ركني الموعظة الحسنة تدور في محور حول هذا الموجه الداخلي الذاتي وهو الطمع وهي المسؤولة عن اختيار الوسيلة التي تؤثر فيه تأثيراً إيجابياً نافعاً لإثارته وتهييجه، حتى يقوم بتوجيه الإرادة لاختيار السلوك المناسب الذي يوصل إلى الجهة التي يكون فيها تحقيق ما تعلقت به النفس راغبة في نيله أو الظفر به) (٧٦).

وقد عبر عن الطمع بالوجدان المضمور بالنفس ففي النفس الإنسانية (قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل منها غير حاجة أختها فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً) (٧٧).

وبالمحصلة فإن للرجاء أثره الكبير في حراك الإنسان نحو فعل الخير والنأي به عن فعل الشر يقول الأستاذ محمد قطب (والخوف والرجاء بقوتهما تلك وتشابكهما واختلافهما بالكيان البشري كله في أعماقه، يوجهان في الواقع اتجاه الحياة، ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو يتخذ لنفسه منهج حياته ويوفق بين سلوكه وبين ما يرجو وما يخاف) (٧٨)، وقد وصف الله تعالى انبياءه وعباده الصالحين بصفة الرغبة والرهبة فقال تعالى) إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (٧٩) وقوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (٨٠)، (وهذا المزيج من الخوف والرجاء كفيل بإثارة الدافع القوي لدى المسلمين لتعلم ما جاء به الإسلام من نظام جديد في الحياة وما تضمنه ذلك من تعلم أساليب جديدة في التفكير والسلوك) (٨١)، فكون الرجاء في النفس يبعث العبودية لله تعالى فذلك في مواجهة معارضته النفس الأمارة بالسوء يقول الإمام الغزالي: (فإذا كان مدار أمر العبودية على الأمرين: القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية، ولذلك لا يتم مع هذه النفس الأمارة بالسوء إلا بترغيب وترهيب، وتوجيه وتخويف، فان الدابة الحرون تحتاج إلى قائد يقودها، وإلى سائق يسوقها، وإذا وقعت في مهواة فربما تضرب بالسوط من جانب، ويلوح لها بالشعير من جانب آخر، حتى تنهض وتتخلص مما وقعت فيه، وإن الصبي العرم لا يمر إلى الكتاب الا بتوجيه من الوالدين وتخويف من المعلم فكذلك هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة الدنيا، فالخوف: سوطها وسائقها، والرجاء:

شعارها وقائدها ، وإن الصبي العرم يحمل إلى متاب العبادة والتقوى، فذكر النار والعقاب تخويفه وذكر الجنة وثوابها ترجيته وترغيبه فكذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة أن يشعر النفس بالأمرين اللذين هما : الخوف والرجاء)[٨٢]، إن إهمال هذا الأسلوب في التغيير يجعل التمسك بأحكام الإسلام ضعيفاً وهذا الحال مناقض لما بعث الله به الرسل وأنزل الكتب وهو تطبيق أحكام الدين قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا )[٨٣] وبالجمع بين الترغيب والترهيب ليكون الدين قوياً بمناصرة أتباعه وذودهم عنه إذ إن أضعاف الرغبة والرهبة في الإسلام بالتمسك بأحكامه وأخلاقه وآدابه ومن حيث الانتماء إليه يؤدي بالضرورة إلى أضعاف المسلمين وهذا يؤدي إلى أن يسهل على الأعداء أن يسيطروا على بلاد المسلمين وكفى بها فاجعة إن لم نتداركها[٨٤] .

**الخاتمـــة**

بعد الانتهاء من هذه الدراسة الطيبة توصلنا الى جملة نتائج أهمها :

١. إن المنهج النبوي منهج إصلاحي وتغييري، فهو منهج إصلاحي؛ حيث انه يقبل المرحلية في التغيير والإصلاح، وهو منهج تغييري؛ من حيث مراميه وأهدافه البعيدة .

٢. إن التغيير مهمة أساسية للإنسان، باعتباره الجزء الأهم من هذا العالم، فهو الأداة الحقيقية للتغيير، ونقطة البداية، ومنطلق النهضة في الأمة .

٣. إن حركة التغيير تبدأ بحركة الإنسان من داخل نفسه، وإصلاح وتغيير محتواه الداخلي، وصياغة جديدة لأفكاره وعواطفه وسلوكه .

٤. ان أول مراحل تغيير الباطل هي المناعة والوقاية من الوقوع فيه، وتعليم الناس الحق وغرسه في قلوبهم وفق منهج القرآن الكريم .

٥. إن من أهداف التغيير، الوصول إلى مجتمع إنساني متوازن، خال من الأمراض والمشاكل والمنغصات لحياة الإنسان .

٦. إن أول هذه المنغصات أن ينحرف عن عقيدة التوحيد، ففسدت بذلك الحياة وهدمت الحضارات. فكان من المنهج النبوي، إبعاد الناس عن هذه العقائد الفاسدة، والأفكار والآراء الخاطئة، وتوجيههم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده، والخضوع والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه.

٧. كذلك اعتنت السنة النبوية بتقويم ما فسد من أخلاق الأمم والمجتمعات عناية كبيرة؛ فالإنسان قادر على ان يغير من أخلاقه السيئة بالتزكية والرياضة الروحانية، ومن خلال علمه بمضارها وأثارها ومساوئها، وبطلبه للأخلاق الحميدة من خلال تعلمه بفضائلها ومحاسنها، ومن خلال الحث والترغيب بالجيد منها، والتنفير والترهيب من القبيح.

## المصادر والهوامش

١. ينظر: الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، المجلد الأول، ص ١٤٩.

٢. ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، المجلد الثاني، (بيروت: دار الفكر، بدون سنة طبعة)، ص ٣٠٣.

٣. ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، الطبعة التاسعة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م)، ص ٤١١.

٤. ينظر: فقه الدعوة إلى الله، علي محمود عبد الحليم، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، (القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م)، ص ٢١٥

٥. لسان العرب، ابن منظور، ج٥، صـ٤٠. مادة (غير)

٦. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، صـ٧٧٦، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥هـ – / ١٩٩٥م. مادة (غير)، التعريفات علي بن محمد بن علي الجرجاني، صـ٨٧، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥، مادة (غير).

٧. مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، صـ٣٦٨، ط١، ١٤٠٤هـ، مادة (غير) .

٨. قراءة في ركائز المشروع الحضاري الاسلامي، جمعة امين عبد العزيز، صـ ٦٥ ، ط١، دار الدعوة، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م

٩. التغيير الاجتماعي، احمد الخشاب، صـ٢٦، ط١، القاهرة، ١٩٧١م.

١٠. لسان العرب، ابن منظور، ج٢، مرجع سابق، ص٢ .

١١. سورة الأنعام، الآية: ١٣ .

١٢. أساليب الدعوة والإرشاد، محمد عامر، ط٥، مركز كناري القاهرة ١١١٥م، ص٢١ .

١٣. سورة البقرة، الآية: ٢١١ .

١٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٥، ص٣٥١ .

١٥. مختار الصحاح، محمد بن الرازي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ٥٤٥٢هـ – ١١١٢م، ص ٥٤١

١٦. هداية المرشدين، مرجع سابق، ص٣١ — ٢٢ .

١٧. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم حسين بن محمد الأصفهاني، ط٢، شركة البابي الحلبي القاهرة ١١٢٥م، ص١٢٢ .

١٨. الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، ط٥، دار الوفاء السعودية ١١٢١م، ص ٤٢ .

١٩. سورة نوح، الآيات: ٢ –٣ .

٢٠. تفسير ابن كثير، ج٣، ص١١ .

٢١. استمرارية الدعوة، محمد السيد وكيل، ط٥، دار المجتمع —جدة ٥٤٥٤هـ – ١١١٤م، ص ٥٢٢ .

٢٢. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج٤، دار القرآن الكريم ببيروت، د . ط . د ت، ص٥٣ .

٢٣. سورة الانبياء الآية: ٧٣

٢٤. سورة يوسف، الآية ١٠٨

٢٥. سورة البقرة، جزء من آية: ٢٥٦ .

٢٦. سورة الأنفال، الآيتان: ٦٢ و٦٣ .

٢٧. ينظر على سبيل المثال: السيوطي، الأشباه والنظائر.

٢٨. صحيح البخاري في كتاب: العلم، باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس فيقعوا في أشد منه (١٢٦)، ومسلم واللفظ له في كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها (١٣٣٣).

٢٩. المائدة الآية ٣

٣٠. المنهج النبوي في بناء القيم ص٣

٣١. الاعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد مصطفى، ط١، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١م ص٤.

٣٢. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط١٩، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ص٣١٠.

٣٣. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٤٩.

٣٤. صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب: من استأجر اجيراً فترك الاجير اجره فعمل فيه، رقم الحديث: ٢١١١.

٣٥. ينظر: فتح الباري، العسقلاني، ج٦/١٣٢.

٣٦. ينظر: المصدر السابق ج٦/١٣٣.

٣٧. ينظر: المصدر السابق ج٦/١٣٣.

٣٨. القرقور: قارب صغير، ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، ج١٨/١٣١.

٣٩. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم الحديث: ٥٣٢٧.

٤٠. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية د. زياد العاني، ص٣٦١.

٤١. التربية ودورها في تشكيل السلوك، مصطفى محمد الطحان، ط١، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٢٧٠.

٤٢. ينظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ط١، عبد الجواد سيد بكر، دار الفكر العربي، ١٩٨٣م، ص٢٠٤.

٤٣. ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٥٠.

٤٤. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: ما كان النبي يتخولهم بالموعظة، رقم الحديث:٦٦ .

٤٥. سورة النحل، الآية: ١٢٥ .

٤٦. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د . زياد العاني، ص٣٣٠ .

٤٧. صلاة الغداة: صلاة الصبح .

٤٨. ذرفت منها العيون: سالت بالدمع .

٤٩. وجلت منها القلوب: أي خافت .

٥٠. سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث: ٢٦٠٠ .

٥١. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، رقم الحديث: ٩٩ .

٥٢. سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب: الخطبة يوم النحر .

٥٣. سورة الحديد ، الآية: ١٦ .

٥٤. ينظر، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د . زياد العاني، ص٣٣٦ .

٥٥. صحيح مسلم، كتاب الحدود ، باب: قطع السارق الشريف وغيره، رقم الحديث: ٣١٩٦ .

٥٦. مجتابي النمار: لابسيها .

٥٧. سورة النساء ، الآية: ١ .

٥٨. سورة الحشر، الآية: ١٨ .

٥٩. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة، رقم الحديث: ١٦٩١ .

٦٠. سنن ابن ماجة، كتاب الزهد ، باب: الحزن والبكاء ، رقم الحديث: ٤١٨٥ .

٦١. ينظر، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د . زياد العاني، ص٣٣٧ .

٦٢. صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب: المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله، رقم: ٢٥٣٠ .

٦٣. ينظر التربية ودورها في تشكيل السلوك، مصطفى محمد الطحان، ص٢٣٨ .

٦٤. صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: قول الله تعالى وهو ألد الخصام، رقم: ٢٢٧٧ .
٦٥. اساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د . زياد العاني، ص٢٤٨ .
٦٦. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب، رقم الحديث: ٣٤٥٧ .
٦٧. سنن ابو داود، كتاب الأدب، باب: في حسن العشرة، رقم الحديث: ٤١٥٧ .
٦٨. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم الحديث: ٥٦٥٠ .
٦٩. ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د . زياد العاني، ص٢٤٥ .
٧٠. سورة الأنبياء، الآية: ٩٠ .
٧١. سورة السجدة، الآية: ١٦ .
٧٢. القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٥٣-١٥٤ .
٧٣. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله لا تسألون عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكم، رقم الحديث: ٤٢٥٥ .
٧٤. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: الثياب البيض، رقم الحديث: ٥٣٧٩ .
٧٥. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم الحديث: ٤٦ .
٧٦. المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب، المنذري، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص١٢ .
٧٧. فقه الدعوة إلى الله، عبد الرحمن حسن حبنكة، د . ط، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م، ج١/٦٣٣ .
٧٨. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، عبد الله دراز، ط٢، دار القلم، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص١١٣-١١٤ .
٧٩. منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص١٢٧-١٢٨ .
٨٠. سورة الانبياء، الآية: ٩٠ .
٨١. سورة السجدة، الآية: ١٦ .
٨٢. القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ص١٥٤ .

٨٣. ينظر: منهاج العابدين، محمد بن محمد الغزالي، د. ط، دار القلم، د. ت، ص٦٣-٦٤.

٨٤. سورة الفتح، الآية: ٢٨.

٨٥. ينظر: فقه الدعوة الفردية، د. علي عبد الحليم محمود، ط٢، دار الوفاء، ١٩٩٢م، ص٢٤٢.